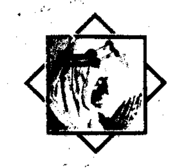


كلمة الشيخ

محمد ناصر الدين الألباني

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للدراسات الإسلامية عام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ،

وزير الدفاع والطيران والمفتش العام

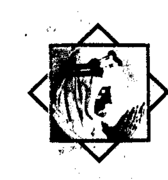
أصحاب السمو الأمراء

أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

الحمد لله الذي علَّم بالقلم ، وأقامنا بالدين الحق على قَصْدِ الأَمَمِ ، وجعلنا باتباع الرسول النبي الأمي خَيْرَ الأمم ... أما بعد ،

فمنذ نيّف وخمسين سنة وأنا أطوف في آفاق السنة ، وأصعد النظر في شعابها ، وأجهد بصري في البحث والتنقيب عن نوادها وشواردها ، وأركب الصَّعْبَ والذلول من رواحلها ، وأرسل العنان لقلمي لوصل ما انقطع من نصوصها ، والتوليف والتقريب بين ما تناثر وتفرق من أجزاء متونها ، إلى غير ذلك مما حُمِّلتُ من أمانتها ، في مؤلفات ناهزت المئة ؛ تخريجاً ، وتصنيفاً ،

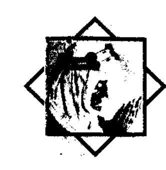


وتهذيباً ، واختصاراً وتبويباً بتصحيح أو بتضعيف ، واستخراجاً واستنباطاً لأحكام ومسائل .

ومن أحبها لي السلسلتان الذهبيتان ، الصحيحة والضعيفة ، اللتان تصدران تباعاً على تباعد ، فقد أوعبت فيهما ما تفرّق في دواوين الإسلام ، من علم الرجال ، والجرح والتعديل ، والأسانيد والعلل ؛ وبخاصة الخفية منها ، هذا إلى جانب الكثير من المسائل العلمية والفوائد النادرة ، والقواعد الفقهية الدقيقة .

وما خطوت خطوة واحدة في طريق هذا العلم الشريف إلا وأراني لا زلت في أوله ؛ إذ هو علم متجدد في الأحكام التي يمضيها المتخصص على نصوصه في التصحيح والتحسين ، والتضعيف ، بما أوفر الله لنا من فضلٍ ، ترخي ذيولَه علينا في كل يوم دورُ النشر والطباعة ، من صحاح ، وسننٍ ، ومسانيد ، وأجزاء ، كانت مخطوطاتٍ مكنونة في غيابات أجباب المكتبات العتيقة . وكان من ثمار هذا ما وفّقني إليه ربي ، سبحانه ، من صنعي في كتابيَّ : الأول : " صحيح الترغيب والترهيب وضعيفه " والثاني : " تهذيب صحيح الجامع وضعيفه " ..... إذ جعلت لكل من نوعي الحديث الصحيحِ والضعيفِ خمسَ مراتب وهي حديثةٌ من حيث التطبيق ، وقديمة من حيث الوجود : " صحيح لذاته ، صحيح لغيره ، حسن لذاته ، حسن لغيره ، حسنٌ صحيح " و : " ضعيف ، ضعيف جداً ، موضوع ، شاذ ، منكر ، سنداً ... أو ... متناً " .

لذا ، فإني أجدني أعيد النظر بين الفينة والأخرى في نصوص كنت خرّجتها قبل وقوفي على طرقها الجديدة من بعد ظهور تلكم المخطوطات لأحكم عليها



بنقيضها ، مما يحسبه بعضٌ ممن يجهل هذا الأمر تناقضاً وقعت فيه ، أو وهماً دهمني ، وما علموا أن السكوت عن الحكم الجديد ، وإخفاءه ضرب من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " ، ونمط مفظع من الخيانة لله وللرسول والله ينهى عن ذلك في مثل قوله : " يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول " .

وليس بخافٍ على أهل العلم المكانة التي رضيها اللّه لسنة نبيه ، عليه الصلاة والسلام ، وأجمعت الأمة عليها ، فهي صنو القرآن ، وشطر الوحي ، ولسان التأويل الصادق لكتاب الله الذي لا يضل على الدهر ، وقد علم أعداء الإسلام هذا الأمر من قديم وحديث ، فأوضعوا خلالها بسوء مكرهم ، يبغونها الفتنة بالتحريف ، والوضع ، والغلو ، والطعن على الأسانيد العالية والتشكيك فيما دونها ، والنيل من حفاظها ، وأمرائها ، وسدنتها ، والانتقاص من الصحابة ، والتابعين ، ورؤوس القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، في غير حق ولا ورع ، ولا كتاب منير .

ومما يحاكي هذا الباب ويدخل فيه ، أن يتقحمّ هذا العلم من لم تتهيأ له أسبابه ، ونأت عنه دواعيه ، ولهذا العلم قواعده وأصوله ، وأبوابه وفصوله ، التي يُعرف بها الناسخ من المنسوخ ، والعام من الخاص ، والمطلق من المقيد ، وأسباب الورود ، والعلل الخفية الدقيقة ، والظاهرة الجلية ، إلى غير ذلك مما لابدّ منه لهذا العلم الشريف .



واستسهال هذا العلم على نحو ما نرى عليه بعضاً من طلاب العلم الحدثاء الأسنان أمر مستهجن ، بل ومستفظع ، لأنه ينتهي بهم إلى الخروج عن السنن الأولى التي اتفقت عليها الأمة، واستقر عليها عمل القرون ، ومنذ أن كان لهذا العلم ذكرٌ في الناس ، وأيما شيء يحدث في حياة الأمة يجري على سنن الهدى ، وتجمع عليه الأمة ، ويستقر بين ظهرانيها ، موافقاً للأدلة التي تتأسس بها القواعد العامة في شتى المعارف والعلوم ، فلا ينبغي أن يخالف أو يخرج عنه ، أو يزهد فيه .

وبدهيٌ أن قواعد العلوم الإسلامية كلَّها (من علوم القرآن ، والسنة ، واللغة) لم تثبت وتشتد ، ليصدر عنها المتخصصون الأقيال ، ويفيدوا منها ، تعلُماً وتعليماً ، وأخذاً ورداً ، وبحثاً واستقراءً ، في شمولية واعبةٍ ، حتى لا تكاد تشذ منها شاذة ، إلا وقد طوقها من كل جهاتها نصوص من الكتاب والسنة ، فمن أتاها بزيادةٍ أو بنقص فقد ثلم الإجماع الذي رضيته طوائف علماء الأمة في شتى الأعصار والقرون ، وإنما الأمة بعلمائها ، فما رضيه العلماءُ واستقر إجماعهم عليه ، فهو الذي رضيته الأمة ، والأمة " لا تجتمع على ضلالة " وهي بهذا مرحومة وكل محدث في الإسلام منكر ومردود ، فكيف إن كان هذا المحدث في واحد من أصلي الأصول، وهو السنة : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ " . وهو من المشاقة لله وللرسول" ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً " ، فلماذا إذاً هذا التجرؤ على قواعد علم السنة ، وقد حفظها الله لنا هذه القرون بها ، كما حفظ لنا كتابه العزيز ؟ وقد أنالنا بها من رحمته ما أنالنا نحن في هذا القرن على ما كانت واستقرت عليه في القرون الغابرة ، وجرى العمل

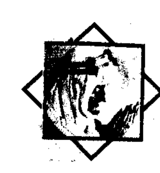


بها . ولا أحسب إلا أن هذه القواعد إنما أُخذت بداياتها ، ومطالعها من نهج القرن الأول ، ولم يأت القرن الرابع ، إلا وقد استوفى علم السنة غايته منها ، وغدت السنة بها مكلوءة أن تؤخذ على غرّة .

وها أنا ذا بعد أن سلخت من عمري قرابة الستين عاماً ؛ ماشياً في ركاب هذا العلم الشريف ، أعود بالنظر والتهذيب والتقريب فيه ، وكأني لا زلت على أول مدرجته ، لذا ، فإني ناصحٌ أمينٌ لطلاب العلم الشداة بثلاث : (١) أن يتعلّموا العلم لأنفسهم ، (٢) وأن يكون هو شاغلهم وهمهم ، (٣) وأن لا يعجلوا في أمر لا يُنال إلا بالتريّث وإدامة البحث والنظر في خوافيه وقوادمه ، ثم ليعلموا رابعاً : أن التصحيح والتضعيف في هذا العلم الشريف يدور بين الصدق وبين الكذب ، وما لم يكن مريد الاشتغال بهذا العلم حاذقاً فيه فإنه يُلَبَّس عليه فيه ، فيقع في الكذب ، وهو يريد الصدق ، وكفى بذلك إثماً ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس ككذب على أحد ، إنه أقرب إلى الكفر ، بل هو بالتعمد كفر بواح .

وأخيراً ، فإني أسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم النعمة على أرض الجزيرة وعلى سائر بلاد المسلمين ، وأن يحفظ دولة التوحيد برعاية خادم الحرمين الملك فهد بن عبدالعزيز ، وأن يطيل في عمره في طاعةٍ ، وسداد أمرٍ ، وتوفيق موصول .

وإني لأشكر لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ، ممثلة في جائزة الملك فيصل العالمية ، ما تبذله من خير وجهد وتكريم للعلم والعلماء ، وهي بذلك إنما تؤدي شيئاً من حق الملك فيصل رحمه الله عليها ، وهو شيء من معنى قوله سبحانه :



" واجعل لي لسان صدق فـي الآخريـن " والحمـد للـه أولاً وآخـراً ، وصلـى اللـه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،